مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية ISSN: 1112-9212 / EISSN 2602-5043
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات- جامعة الجلفة. الجزائر مجلد: 11 عدد: 02 ديسمبر 2018
تاريخ الأرسال: 2018-12-04 تاريخ القبول: 2018-12-20 تاريخ النشر: 2018-12-22

واقع واستراتجية التكفل بالاحداث الجانحين بالجزائر

المؤلف: بومدين **عميري**
جامعة تلمسانALGÉRIE, amiriboumediene70@gmail.com ,

المخلص: تعرض هذا المقال الى تفسير بعض النظريات والتجارب المؤسساتية الدولية ومقارنتها بالتجارب وواقع المؤسسات الجزائرية لادماج الجانحين التي تجعل الباحثين والمختصين يمتلكون تصورا واضحا لما ينبغي القيام به، ومن هذا المنطلق لابد من ترسيخ الفكر المؤسساتي وفهم النظريات المفسرة للفعل الإجرامي.

وفي المقابل فإن واقع التكفل بالأحداث في الجزائر في حاجة إلى أسس نظرية واضحة في شأن تأهيل هذه الفئة، ويحاول ان يكون ولو نسخة طبق الأصل لهذه النماذج العالمية ، مما نطرح تساؤلات عن سمات واقعنا المحلي، أي نوع من المؤسسات نتوفر عليها ؟ وأي مدرسة معتمدة في منهجية التكفل .حتى يستطيع المهتمين بهذا الميدان الاستفادة من جميع كل التيارات لتأسيس إطار نظري مرجعي ذو خصوصية جزائرية.

Summary
This article explores some theories and international institutional experiences and compares them with the experiences and realities of Algerian institutions to integrate delinquents that make researchers and specialists have a clear vision of what should be done.
On the other hand, the reality of taking care of the events in Algeria needs clear theoretical bases regarding the rehabilitation of this category, and tries to be even a replica of these global models, which raises questions about the characteristics of our local reality, what kind of institutions we have? And any school accredited in the methodology of sponsorship. So that interested in this field to benefit from all currents to establish a reference frame of reference Algerian specificity.

مقدمة

تأثر نمو الفعل الإجرامي عند الجانحين في الجزائر إلى حد كبير بخصوصية عوامل المجتمع الجزائري وهي عوامل تكاد تشترك فيها دول العالم الثالث. وإن الدراسات الإحصائية عكست على قدر كبير حجم وواقع الظاهرة في بلادنا حيث مكنت من التعرف من مدى زيادتها أو نقائصها من التدابير المناسبة لكل وضع، إلا أن الدوائر المعنية بشؤون الأحداث مثل المكتب الوطني لحماية الطفولة،

مراكز الشرطة، والوسط المفتوح غالبا ما يصدر منهم إحصائيات وطنية شاملة تؤكد تطور الكبير للظاهرة.

إن المدارس التي وضعت على مدار السنوات الطويلة الماضية والمستلمة ليس فقط من المدارس والاتجاهات النظرية والفكرية بقدر ما هي مستمدة أيضا من التجارب الميدانية المباشرة مع الأحداث الجانحين، والتي استهدفت بالأساس تدعيم المشاريع المؤسساتية المطروحة وتطوير برامجها وأدائها لتمكين روادها والمستفيدين من خدماتها من أفضل فرص للتأهيل والإدماج الاجتماعي.

وسوف نتطرق إلى ثلاث مقاربات حديثة في مجال تأهيل الأحداث الجانحين داخل المراكز والمؤسسات الإصلاحية. (يوسف الأقصري، ، 2002، القاهرة ص25)

اولا –المدرسة– النفس التربوية:(Gendeau G, , paris, 1978)

تعتمد على أربع ركائز أساسية لعمل المؤسسات الإصلاحية وهي:

- تنمية القدرات و العمليات المهنية لفريق المدرسين .
- تطوير أنشطة التعلم
- الأخذ بنظام الجماعة
- تنظيم الوسط

- تنمية القدرات و العمليات المهنية لفريق المربين :

ترتكز المدرسية النفسي – تربوية على ضرورة اختيار فريق المربين بناء على قدرات ومؤهلات معينة، علاوة في تكوينهم داخل المؤسسات بشكل متوازي مع طبيعة عملهم واحتكاكهم بالأحداث الجانحين، و ذلك بغية اكتسابهم الوسائل العلمية والعملية ليكونوا فاعلين في إطار علاقة المساعدة أو المصاحبة relation d'aide ou

مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية ISSN: 1112-9212 / EISSN 2602-5043
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات- جامعة الجلفة. الجزائر مجلد: 11 عدد: 02 ديسمبر 2018
تاريخ الأرسال: 2018-12-04 تاريخ القبول: 2018-12-20 تاريخ النشر: 2018-12-22

d'accompagnement لفريق الأحداث الجانحين مع الاستناد إلى هذه الوسائل: الملاحظة، التشخيص ، التخطيط ، التنظيم والتنسيق والتواصل.

-أنشطة التعلم :

تعتبر هذه المدرسة أن المشاكل الحقيقة التي تصادف المربيين العاملين في المراكز والمؤسسات الإصلاحية تتمثل في عدم تمكنهم من عدم انجاز برامج عمل فعالة مكملة للنشاط المدرسي و المهني و الترفيهي الممارس في الو رشات ' مما يتطلب تنظيم تدخلهم المهني يجعله قادرا على استيعاب الحاجات الحقيقية للأحداث الجانحين،ذلك بخلق أنشطة للتدريب و التعلم مراكبة لباقي الأنشطة و مكملة لها ، مع الأخذ بعين الاعتبار خصائص الفئات المستهدفة من هذا النشاط و الأهداف المراد بلوغها و كذا الوسائل و الإمكانيات المتوفرة .

- **الجماعة: le groupe**

تحتل الجماعة أهمية كبرى في تأهيل وإصلاح الأحداث بالنسبة لهذه المدرسة ، باعتبارها مجتمعا مصغرا microsociété ذات بنية وتنظيم اجتماعي معين ، يتدخل من خلالها المربي لإحداث التغيرات المطلوبة بالنسبة لأعضائها، فهي وفق هذا المنظور تمثل وسيلة لإصلاح وهدفا له في الوقت ذاته ، فإذا كان المربي حسب هذه المدرسة هو عماد عملية التدخل pivot de l'intervention، فان الجماعة هي نمط الاشتغال بالنسبة للمتدخلين والأداة التي تمكنهم من ضبط آليات و ميكانيزمات الأفراد اجتماعيا، كما أنها وسيلة ترتكز على مبدأ الاعتماد المتبادل بين أفرادها l'assistance réciproque

- **الوسط le milieu :**

يعتبر gendreau الوسط بوتقة التفاعل التي تمكن الأفراد من التكيف الاجتماعي Adaptation social فالوسط يمثل مجموعة بنيوية ديناميكية وتتجلى في الخصائص التالية: الأحداث أو جماعة المستفيدين، المنشطون الأهداف والغايات، السياق المكاني، البرنامج، السياق الزماني، الوسائل، القانون، الإجراءات، نظام تدرج المسؤولية، منظومة التعليم والمتابعة.

ثانيا-- المدرسة المعرفية السلوكية l'approché cognitive comportementale

- تتمثل في تأهيل وإدماج الأحداث الجانحين انطلاقا من الوسائل التربوية الفعالة المحصل عليها من النتائج الميدانية، فهي لا تعتمد على الحد من السلوكات الفرد – اجتماعية بقدر ما تتوفر في الوقت ذاته الرفع من السلوكات الاجتماعية مما يحدد أهدافها العامة في ضرورة جعل الأحداث الجانحون يتخلون بالتدرج عن عاداتهم وسلوكاتهم الجانحة، والتحلي تدريجيا بعلاقات اجتماعية نوعية تمكنهم من اكتساب مهارات التواصل الاجتماعي في حياتهم العادية، وبالتالي القدرة على حل مشكلاتهم داخل هذه العلاقات بطريقة مقبولة اجتماعيا. (Leblanc M, 2000' Québec.p40)

ويتم ذلك من خلال تدريبهم على طرق ووسائل التحكم في الغضب والعنف والرفع من قابليتهم لتعلم لاكتساب معارف ومهارات جديدة، وتعتمد هذه المقاربة على ثلاث جوانب أساسية وهي: جانب التدخل الفردي، ورشات التعلم الجماعية، ورشات التدريب ولقاءات الجماعة.

-التدخل الفردي:

خلال الأسابيع الأولى من تواجد الحدث بالمؤسسة الإصلاحية يتم تركيز الملاحظات على جوانب السلوك التي تمثل مشاكل حقيقية للحدث، وكذا الطرق والأجواء التي تنامت فيها. كما أنه يتم تجميع كافة المعلومات والبيانات ذات الفائدة من وسطه العائلي للتمكن من الإحاطة الشاملة بطبيعة السلوكات وتحديد مصدرها أهي نابعة من عمق شخصية الحدث أم ذا صلة بالمحيط؟ وانطلاقا من هذا التشخيص إنجاز أول تعاقد سلوكي مع الحدث تتحدد من خلاله نوعية السلوكات التي يجب تجنبها وفي المقابل السلوكات البديلة المرغوب بها، ويصاغ هذا التعاقد من قبل فريق المربين، ويعرض على الحدث وعائلته عند الاقتضاء، حيث من المفترض أن نيدي إلا غير تعاونه واقتراحاته، على ألا يتجاوز هذا التعاقد أكثر من 3 أشهر لتلبية تعاقدات سلوكية أخرى.

-ورشات التعلم الجماعية :

تهدف هذه الورشات إلى اكتساب الأحداث الجانحين مهارات التواصل داخل الجماعة، وكذا كيفية وأساليب التحكم في انفعالات زائدة وغير المرغوب بها وأن هذه الورشات تتيح للأحداث بلورة

وتنمية التلاحم الاجتماعي المرتكز على الأسس الاجتماعية داخل الجماعة تقسها، ومن هذه الورشات هناك ما يلي :

- ورشات التعلم و اكتساب مهارات التواصل و السلوكات الاجتماعية.
- ورشة التعاون.
- ورشة فهم و استعمال ميكانيزمات الجماعة.
- ورشة التحكم في الانفعال (الغضب، العدوانية...).
- ورشة حل المشكلات.
- ورشة المناقشة حول السلوكات الاجتماعية .

- الـوسـط:

إن المدرسة المعرفية السلوكية لا تعتمد على التعاقدات الفردية وورشة التعلم المشار لها أعلاه، فحسب بل إنها تضع كل ذلك في قلب الوسط الطبيعي للحدث، هذا الوسط الذي ينبغي تأهيله بطريقة خاصة ليستجيب لكافة المتغيرات التي من الممكن أن تطرأ على حلول الحدث خلال مدة إيداعه بالمؤسسة الإصلاحية والمركز، ومن تم تضع هذه المقاربة من استراتيجيها الرامية إلى إدماج وتأهيل الأحداث الجانحون، ولكنها كذلك تضع عددا من المشاريع التي من خلالها يستطيع الحدث توظيف المهارات الاجتماعية التي اكتسبها خلال مدة تواجده بالمؤسسة وذلك بإشراف، العائلة، المدرسة، مكان العمل، وأماكن وسيطة أخرى (كمراكز الترفيه ، مراكز تكوينية ...).

ثالثا- المدرسة المعرفية النمائية

تتلخص الأهداف العامة لهذه المدرسة : L'approche cognitive développementale في مساعدة الأحداث الجانحين على تجاوز مواقفهم المعرفية الخاطئة وسلوكاتهم الهامشية، وذلك باكتسابهم أساليب التفكير المنطقي الأخلاقي raisonnement، وتنمية كفاءاتهم العلائقية من خلال تدريبهم على إلزام القواعد والنظم الاجتماعية بالعمل على اشتراكهم في بلورة ومراجعة قواعد جماعتهم وعملهم للمسؤولية داخلها، كما تحدث هذه المدرسة على ضرورة فهم التشوهات التي تلحق حقائق المحيط الخارجي للحدث والمرتبطة بالجوانب المعرفية لديه والتي من شانها أن تؤدي به إلى مسلك الجنوح.(Gerrard Bonnet, , 2002 , paris)

وتعتمد هذه المدرسة بدورها على ثلاثة جوانب فيما يتعلق بتدخلها فئة الأحداث الجانحين داخل المؤسسات وهي:

الجانب الفردي – ورشات تدريب ولقاءات الجماعات – الوسط.

أ- الجانب الفردي :

لمساعدة الحدث الجانح وتأهيله وإدماجه الاجتماعي ينبغي على المربين أن يتدخلوا من خلال المستويات الثلاث التالية:

- فهم ومعرفة سلوكات الحدث والسياقات المعرفية المسؤولة عن هذه السلوكات.
- دلالة هذه السلوكات وقدرة الحدث على التحكم فيها .
- معرفة قدرة الحدث على مستوى إستراتيجية التواصل علائقيا وكذا قدرته التفاوضية و حل المشكلات .

ب- ورشة التدريب و لقاء الجماعة :

يتمحور هذا الجانب حول نشاطين أساسيين للتفكير ، يتعلق الأول بالمواقف الأخلاقية الحرجة Dilemmes moraux أما الثاني فيخص الوضعيات الافتراضية للعلاقات البين الشخصية للأحداث بأقرانهم والراشدين عموما، مما يتطلب على المشرفين والمهتمين عن أنشطة على هذه الورشات وأنشطة الجماعة بصفة عامة تركيز جهودهم على جوانب متعددة من شخصية الحدث داخل عمل الجماعة.

وتتميز هذه الجماعة –وفق هذه النظرية – بأسلوبها الديمقراطي في التسيير، فهي لا تقع تحت سلطة المربي بقدر ما يشكل فيها هذا الأخير عضوا عاديا يملك صوتا واحدا كباقي الأحداث المنتسبين للجماعة، وتتخذ القرارات باعتماد نظام الأغلبية وفقا للقواعد والضوابط التي تحكم نظام، المؤسسة، كما انه من خلال المجموع العامة لهذه الجماعة، والتي تسير في الغالب من لدن أحد الأحداث، تتخذ كل القرارات التي تهم سير الجماعة ومناقشة الأجواء الساندة داخلها أو داخل المؤسسة ككل وأيضا أنواع المشكلات المطروحة والخروقات التي يرتكبها الأعضاء وتتبع الجماعة أسلوبا دقيق في توزيع و تحديد المسؤوليات بين أفرادها و هناك نظام للتأديب و الخروقات.

مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية ISSN: 1112-9212 / EISSN 2602-5043
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات- جامعة الجلفة. الجزائر مجلد: 11 عدد: 02 ديسمبر 2018
تاريخ الأرسال: 2018-12-04 تاريخ القبول: 2018-12-20 تاريخ النشر: 2018-12-22

ج- الوسط le milieu

يؤدي الوسط هنا دورا مكملا للأدوار الجماعة الأخرى ، ضمن خلاله تم برمجه عدد من الأنشطة سواء في إطار العائلة أو المدرسة أو مكان العمل، تحفز الحدث على قيم التعاون الحدث على قيم التعاون

والمساعدة والعدالة...والتي من شانها المساهمة في تطوير وتنمية الكفاءات الفردية والجماعية لمختلف الأحداث، مما يمنح للوسط هنا دورا تكميليا وأساسيا لكل الأنشطة والبرامج التي خضع لها الحدث أثناء فترة تواجده بالمؤسسة.

-ثالثا -التجارب الدولية في تأهيل و إدماج الأحداث الجانحين :

إن التجارب الدولية بخصوص تأهيل وإدماج الأحداث متنوعة بتنوع المدارس والخلفيات النظرية التي تؤطرها، لكنها تتفق في مجموعها على هدف واحد يتمثل في العمل على تغيير السلوك للجانح، وإعادة تكيفيه إجتماعيا ومن التجارب العالمية لإدماج الأحداث ما يلي :

-التدخل على أساس فردي لوليام هيلي w.Healy (D)

يعتبر هيلي مشكلة الجنوح مسألة فردية ترتبط بشخصية الجانح وحده وذلك إعتمادا على نتائج الدراسة التي قام بها. وهو بذلك يتفق مع عدد من النظريات النفسية في تغيير الجنوح ويعتبر أنه من الضروري الكشف مبكرا على المشكلات النفسية العويصة لدى هؤلاء الأحداث للتمكن من وضع برامج التدخل والعلاج ملائمة لطبيعة المشكلات، ومعبرة عن المشاكل الحقيقية لهذه الشريعة، هذا الطرح كان موجود لدى العديد من فرق البحث في الخمسينات من القرى الماضي، كما هو الأمر بالنسبة للزوجين Glueck (Sheldon et Eleanor) الذين أمضيا سنوات طويلة في محاولة

تحديد العوامل الفردية المسؤولة عن ظاهرة " العود" لدى الأحداث الجانحين في محاولة معالجتها فرديا بالعمل على تغيير سلوك الحدث الجانح لتحقيق غايات الإدماج الاجتماعي.

و من الأمثلة الميدانية التي تدعم هذا الاتجاه هناك مشروع Cambridge Somerville التي تأسس على خلقية علاجية نفسية في نهاية الثلاثينات (1937).

حيث طرح عملية توجيه الأحداث نحو برامج علاجية مؤطرة من لدن مرشدين كبار يتولون تقديم مساعدات فردية تعمل على تطوير مهاراتهم النفسية والاجتماعية وقدراتهم الفكرية والبدنية والتي لا تؤهلهم للاندماج الاجتماعي، وتضمن عدم عودتهم للجريمة والجنوح.

- **مشروع التدخل الإجتماعي لمدينة شيكاغو:**

يعد مشروع التدخل لمدينة الأكثر شهرة ليس في الولايات المتحدة وحدها و لكن في العديد من اتحاد العالم، هذا المشروع انطلقت في أربعينيات القرن الماضي، وتأثر كثيرا بالأفكار الاجتماعية لمدرسة شيكاغو، وخاصة أفكار chifforton shawau المرتكزة على أهمية إعادة تنظيم الأحياء داخل المدينة انطلاقا من الدراسة الهامة التي أنجزها سنة 1942ولقد ركز التدخل الاجتماعي لمدينة شيكاغو على خلق لجنة مشتركة للتدخل والحد من مشاكل الأحياء، ووضع برامج ناجحة في مجال استثمار الوقت الحر، وكذا التدخل الصحي والوقائي بتوظيف فرق للتدخل والعمل في الشارع، وإذا كان هذا المشروع قد أعطى أهمية قصوى للعمل في الوسط الطبيعي، ولا سيما في الأحياء المهمشة والفقيرة، ومع ذلك لم يستثمن العمل المؤسساتي، بل أنهم بشكل ملحوظ في تطوير برامج المؤسسات الإعلامية سوء في مجال التكوين المهني أو التعليم أو في يتعلق بالخدمات الموجهة لعائلات الأحداث الجانحية.(Michel et Roger Perron,2002 paris)

-أسلوب العلاج داخل الجماعة :

في ستينات القرن الماضي برزت عدة محاولات لخلق برامج جديدة مرتكزة على النظريات السوسيولوجية الحديثة، والتي تعتبر الجنوح بصفة عامة وجنوح الأحداث على وجه الخصوص مظهر التفاعل الاجتماعي.

وعلى اعتبار تجربة PROVO التي تعتمد في علاج الأحداث الجانحين على عدم إحداث وظيفة مع نشاطهم السابق، فالأحداث الذين كانوا في المدرسة يشتهرون في التعلم والتحصيل (المدرسة، العمل) لكنهم جميعا ملزمون بحضور اجتماعات الجماعة.

وتتلخص فكرة هذا البرنامج في جعل أسلوب ايناسية الجماعة وسيلة للتغيير الايجابي، حيث إذا كانت بعض النظريات السوسيولوجية للجنوح تعطي أهمية قصوى الجماعة الرفاق، فإن ذلك ما دفع Emgey إلى التفكير في أهمية التأثير المتبادل في تحقيق تغير للقيم داخل الجماعة، من خلال

استثمار العلاقات التي تنشأ بين الأصدقاء لدفعهم بالتدريج إلى تبني نفس السلوك المرغوب فيها اجتماعيا.

و بالرغم من أن النتائج لم تبرهن بشكل قاطع على صمود هذه الخلفية النظرية ، إلا أنه يمكن اعتبار أن التجارب التي تمخضت عنها كانت غنية و فعالة في الحد من مظاهر الجنوح و و الصمود ، فالأحداث الذين ولجوا مشروع PROVO سجلوا أقل نسب الصمود بالمقارنة مع أحداث استفادوا من برامج أخرى .

-نظرية الضبط الإجتماعي و إدماج الأحداث الجانحين :

- تندرج أفكار هذه النظرية في سياق سوسيولوجيا الضبط الاجتماعي، المنبثقة عن ضرورة فهم العلاقة التي تربط الجريمة أو الفعل الجانح بميكانيزمات الضبط الاجتماعي، وذلك بالعمل عن تقدير موقع ومكانة المرتكبين لهذه الأفعال داخل محيطهم الاجتماعي وأنها تكتسي أهمية بالغة في الصيرورة الإدماجية لهذه العناصر.

Bandura1973, New York

وتنطلق هذه النظرية التي انتشرت في استراليا ونيوزلندا من ضرورة العمل على جمع الأحداث الجانحون بالأشخاص والذين يحتلون أهمية كبرى في حياتهم (أقربائهم أو أصدقائهم أو جماعة من الأشخاص يقدرونهم)، ويمكن أيضا جعلهم مع ضحاياهم أو عائلات هؤلاء الضحايا وذلك لمحاولة ضبط الجانح وعلاجه انطلاقا من تداعيات الفعل الذي ارتكبه والذي يمس بالتأكيد هذه الفئة التي تحتضنه وتشكل شماعة مرجعية ولو كانت ثانوية.

- **تجربة بوسكوفيل Boscoville الكندية:**

لقد شكلت المدرسة الكندية في رعاية وإدماج الأحداث الجانحين تجربة غنية بكل المقاييس، ألهمت العديد من الباحثين والدارسين من مختلف بقاع العالم ولتزال مؤثرة وفاعلة وقادرة على الابتكار والتجديد.

استلهمت هذه التجربة أسسها النظرية في التراث الأكاديمي لعدد من المدارس والاتجاهات النفسية كالتحليل النفسي والاتجاه السلوكي والمعرفي.

حيث نجد فيما يتعلق بنظرية تنمية الحدث الجانح تقاطع نظريات كل من Piaget في الجانب المعرفي وار يكسون في نمو الأنا كما هناك نظريات اجتماعية أخرى كنظرية الرابط الاجتماعي لـ Hirchi التي تركز على أهمية الروابط الاجتماعية في إصلاح وعلاج الأحداث الجانحين.

وتؤطر هذه الاتجاهات النظرية في مجموعها كل التدخلات التربوية والنفسية للفرد والجماعة معا المبنية على خطوات نظرية المراحل الأربع التي قدمتها الباحثة Yannick Guidon في «Les Etapes de la rééducation des jeunes délinquants et des autres

والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- **مرحلة التأقلم:** ويحدد الهدف الأساسي لهذه المرحلة في تعريف الحدث جميع الوسائل متاحة في المؤسسة.
- **مرحلة الضبط:** يتم من خلالها اكتساب الحدث الوسائل التي تمكنه من احترام الوسط الذي يتواجد فيه.
- **مرحلة الإنتاج:** يكتسب منهجية محددة للعمل بالاعتماد على مؤهلاته، ومشروعه في الحياة.
- **مرحلة الشخصنة:** يصبح الحدث واعيا بطبيعة التحولات التي وقعت عليه، ويبقى قادر على الاختيار والتخطيط والابتكار بناء على المكتسبات المحققة لديه.....

وتقترح Boscoville علاوة على كل ذلك برنامجا غنيا ومتكاملا للأحداث الجانحين فبالإضافة إلى النشاط التعليمي والترفيهي هناك أنشطة رياضية وفنية وورشات مهنية متعددو وتكوين مهني متعدد التخصصات يؤطره مختصون.

وكذلك ترتكز على تكوين مربيين العاملين بالمؤسسة والذين يتم انتقاؤهم بعناية من المؤسسات الجامعية المتخصصة في علم النفس وعلم الاجتماع والتربية، والذين يتلقون تكوينا خاصا.

- **<u>مشروع الإدماج العائلي</u>:**

يعتبر هذا المشروع أن علاج الأحداث الجانحين داخل المؤسسات الإصلاحية لا يؤهلهم إصلاحا للإدماج الاجتماعي ، فكل البرامج التي يخضعون لها لا تحدث في الواقع التغيرات المنشودة سواء على مستوى شخصية الحدث أو وسطه العائلي هذا ما دفعه إلى البحث على مشاريع بديلة لإدماج الأحداث دون إيداعهم بالمؤسسات الإصلاحية حيث يركز على ضرورة فهم العلاقة التي تربط هؤلاء بآبائهم، فهي المدخل الحقيقي لعلاجهم وتأهيلهم وإدماجهم اجتماعيا ومن الفكرة الأساسية التي انطلق بها

هذا المشروع هي « لا يمكن أن نربي أطفالنا دون أن نحبهم ودون أن نؤثر فيهم ونصل إلى قلوبهم ، ولا يمكن إحداث أي تغيير حقيقي في سلوكهم ما.

لم نستطيع التأثير فيهم.» ذلك أن تغيير في سلوك الأحداث هو اختيار حر من قبلنا من قبلهم ولا يمكن أن يكون مفروضا من أي شخص كيفما كانت الرابطة التي تربطهم به.

ويوصى هذا المشروع بالإجراءات التالية :

– تحديد جماعة الأحداث الجانحين ذات السلوك الإجرامي وذلك من خلال التمييز بين المرتكبين الأفعال البسيطة والأفعال الإجرامية.

– توطيد الصلة بأسرة الحدث لمعرفة عوامل الخطر العائلية باعتبارها مسؤولة عن سلوك الجانح.

– إعادة النظر في أساليب وطرق معاملة الآباء والمعلمين والمربيين والمهتمين بالأحداث.

– عدم الأخذ باتجاه نفسي علاجي محدد كما هو سائد في العديد من المؤسسات الإصلاحية للأحداث، بل لا بد من الاستفادة من جميع الاتجاهات النفسية، الاجتماعية، والثقافية وتكيفها مع كل حالة على حدة.

– تحفيز الأحداث وآبائهم على إحداث التغيرات المطلوبة في سلوكهم ويلخص Acker خطوات التدخل الإدماج العائلي فيما يلي:

– القيام بزيارات مسترسلة للأسرة من قبل المتدخلين.

– تلقين الآباء بالطرق والأساليب التربوية المطلوبة .

– تشجيع ومساندة الآباء وإشراكهم في مقاربة علاجية تكاملية لصالح أطفالهم

– تخصيص حصص للأحداث من أجل تقوية جوانب معينة من شخصية الحدث من خفض التوترات الزائدة وتصريف الميولات العنيفة وتنمية القدرات الاجتماعية.

4–واقع التكفل بالأحداث الجانحين بالجزائر:

لا شك أن النظريات والتجارب المؤسساتية على اختلافها تمتلك صورا واضحا لما ينبغي القيام به حيث تستمد قوتها من إسهامات الباحثين الأكاديميين ودراسات وأبحاث المستغلين في هذا الحقل، متابعتهم وانشغالهم الدائم بقضايا هذه المؤسسات والسبل الكفيلة بتطوير أدائها لتستجيب

لحاجيات الأحداث، مما يضيف عليها نوعا من الانسجام والتكامل فيما بين الباحث الأكاديمي والممارس الفاعل داخل هذا الحقل.

في المقابل فإن واقع التكفل بالأحداث في الجزائر يفتقر إلى أسس نظرية واضحة في شأن تأهيل هذه الفئة، بل لم يستطيع أن يكون ولو نسخة طبق الأصل لهذه النماذج العالمية ، مما يطرح تساؤلات كثيرة عن سمات واقعنا المحلي، أي نوع من المؤسسات نتوفر عليها ؟ وأي مدرسة معتمدة في تأهيل وإدماج الأحداث؟ وهل التجارب الجزائرية تستجيب لنفس الشروط أم تظل بعيدة كل بعد كما يعتمد في الميادين الأكاديمية والعلمية؟ هذه المؤسسات لبلورة تجربة خاصة بما يمكن اعتبارها استجابة لشروط علمية خاصة ؟....

عن تأملنا للمراكز المختصة، ومؤسسات حماية الطفولة والمراهقة، ومراكز إعادة التربية نجد في الواقع هناك خليطا من المفاهيم أغلبها غير واضح بالنسبة إلى المربيين والمهتمين....

إن نظريات الضبط الاجتماعي، أو نظريات الدور الاجتماعي، أو مفاهيم تنتمي إلى الحقل السلوكي أو التحليل النفسي أو المعرفي... في الغالب لا نجدها بتاتا في الإطار النظري لمؤسساتنا و لم يستطع المهتمين بهذا الميدان في بلدان من الاستفادة من كل التيارات لتأسيس إطار نظري مرجعي ذو خصوصية جزائرية.

هذا على المستوى النظري ، أما على المستوى العملي فإن ما يطغى على هذه المؤسسات و المراكز هو سيادة نوع من الممارسات التي دأب عليها العاملون و التي تربط إلى حد كبير بخراج و عقليات المسؤولين و العاملين على حد سواء . مما أسقطها في نوع من التجريب الأساليب و طرق على ملائمة إطلاقا.

كما يغيب بشكل ملحوظ عمل الفريق التربوي، إذ لا نلمس لدى هذه المؤسسات وجود أدنى شروط للتكامل و الانسجام بين المربيين فيما بينهم، أو بين الطاقم التربوي و الطاقم الإداري. فكل له طريقة خاصة به مناقضة تماما بطريقة و أسلوب الآخرين ، كما أن تدخلات المشرفين على المؤسسة قد لا تتوافق في كثير من الحيان مع المربين والمرشدين، ومن جهة أخرى التناقض الملحوظ و الأخطاء المرتكبة من طرف قضاة الأحداث في قراراتهم .

لقد ظل الهاجس الذي يشغل المشتغلين بهذا الحقل هو البحث عن الخطط و الاستراتيجيات الهادفة إلى تأهيل الأحداث ، دونها البحث في المقابل عن ربط هذا المبتغى

بما يميز المحيط الإجتماعي لهذه الشريحة ، و طبيعة التحديات التي تواجه أفرادها في المجتمع .

فبقيت المراكز إعادة التربية ومراكز حماية الطفولة والمراهقة بعيدة عن ملامسة التحولات الاقتصادية والثقافية في محيطها ، فهي بعيدة إذن عن قضية التكفل والإدماج، وغيره قادرة عن تكيف برامجها من المستجدات الحاصلة هنا وهناك غافلة عن إدراك علاقة التكوين والتأهيل بمتطلبات التنمية الاجتماعية المنشورة وعن علاقة كل ذلك بالحد من الانتشار لظاهرة الجريمة والجنوح .

وعليه ظلت المؤسسات منغلقة عن ذاتها، غير معنية، عما يجرى حولها فرأيت ولسنوات عديدة على نهج نفس الوسائل والأساليب العتيقة في تسيير شؤونها التربوية والإدارية والتأهيلية، مما أسقطها في واقع الرقابة والتكرارية وعادة أن نجد أو نحصل على برنامج عمل سنوي وثيقة أو مذكرة عمل للمربي للسنوات القليلة الماضية .فكل الأدوات والوسائل التقنية والتربوية تنتمي لحقبات ماضية وأنها مجرد وثائق ملتصقة على الجدران وهذا ما يفسر سعي هذه المؤسسات إلى أنها تعيش بوسائل تنتمي إلى ماضيها، وفي نفس الوقت جاسدة غير صالحة ولا تحج منها نشاطا و لا حيوية، ولا العقليات السائدة يمكنها اليوم تجديد القديم والعمل إلى إحياء الوسائل . إذن: أي مشروع مستقبلي لمؤسساتنا في الجزائر ؟! ومن منطق الحاجة المجتمعية الماسة فلا بد من إيجاد خطة تربوية حديثة ترمي إلى تنشئة فرد متوافق مع هويته، متفاعل مع حضارات غيره إن مراكز الحماية مدعوة أكثر من أي وقت مضى إلى أن تبنى برنامجا بيداغوجيا متكاملا يرتكز على مرجعية نظرية وفكرية وتربوية واضحة على شكل "عقد نفسي " لكي على الأقل لا يكرر الجانح فعله أو لكي لا يكتسب تجارب أخرى حتى لا يصير فعله إجراما .

خلاصة:

لا شك أن النظريات والتجارب المؤسساتية المعروضة في هذا المقال أو التجارب الأخرى والتي لم تعرض وعن التجارب وواقع المؤسسات الجزائرية يجعل الباحثين والمختصين يمتلكون تصورا واضحا لما ينبغي القيام به، ومن هذا المنطلق لابد من ترسيخ الفكر المؤسساتي وفهم النظريات المفسرة للفعل الإجرامي.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

1- أبو زيد، عبد الحميد (1992)، العلاج النفسي وتطبيقاته الجماعية، ط3، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

2- أبو زيد، محمود (2006)، الانحراف ، الوقاية والعلاج، القاهرة: دار المعارف.

3- أبو عبادة، صالح بن عبد الله، نيازي عبد المجيد (2001). الإرشاد النفسي، ط1 ، الرياض: مكتبة العبيكان.

4- أحمد، متولي سيد (1995) مبادئ الصحة العامة، القاهرة: دار أبو المجد للطباعة

5- أحمد، سهير كامل (2000). التوجيه والإرشاد النفسي، الإسكندرية: دار الإسكندرية.

6- إسماعيل، عزت سيد (1984). الاكتئاب النفسي، الكويت: وكالة المطبوعات.

<u>- المراجع باللغة الأجنبية:</u>

- Bandura, Agression, New York, 1973.
- Bandura, Principes de modification de comportement, paris, 1969.
- Gendeau G, L'intervention psycho-éducative, Solution ou défis, paris, 1978.
- Leblanc M, Quelle stratégie d'intervention choisis pour les adolescents en difficulté?, Québec, article, 2000.
- L'Oeber , la pré direction de la délinquance, paris 1978.
- Gerrard Bonnet, le remords, paris, 2002.

Michel et Roger Perron, fantasme, Action, pensée, alger, 1997